Journal of the College of Education for Humanities
Volume 14, Issue 4, 2024 ISSN:2707-5672

مجلة كلية التربية للعلوم الانسانية – جامعة ذي قار
المجلد 14, العدد 4 / الرقم المعياري 2707-5672

الاشاريات المقامية في شعر أبي الحسن التهامي مقاربة تداولية

م.د تغريد خليل حامي
المديرية العامة للتربية في محافظة ذي قار
tghrydalshwyly@gmail.com

الملخص

تعدّ التداولية من المصطلحات والنظريات المقامية التي ينجز في ضمنها الخطاب اللساني اللغوي إذ تعنى بدراسة التواصل الخطابي بين المتكلم والمخاطب أي دراسة العلامات اللسانية التي يستعملها المتكلم في عملية الخطاب التواصلي ومن هنا فالتداولية التواصلية تتمركز في دراسة ضمائر المتكلم وظرفي المكان والزمان والرموز العلاماتية التي تستسقي مفاهيمها ودلالاتها من المقام الخطابي الذي يجري منه التواصل اللغوي في النص الشعري فالوظائف التداولية تكمن معالمها الوجودية في تشكيل بنية الخطاب اللغوي والدلالي معاً وذلك عبر القيام بأثرها اللساني ووظيفتها التعبيرية المقصودة لأنها علامات إشارية غير منفصلة عن أفعال الكلام التي تستلزم متكلماً يتوجّه بخطابه اللغوي إلى مخاطب ضمن إطار زماني ومكاني وزماني محدد ومن هنا ارتأينا دراسة الإشاريات المقامية في النص الشعري عبر اختيار شاعر عباسي أبو الحسن التهامي يوظف هذه الاشاريات المعبرة عن مشاعره وهواجسه الذاتية بعلامات إيحائية مكثفة تعكس غايات الشاعر ومقاصده التعبيرية التي يريد ايصالها إلى المخاطب أي أن الإشاريّات المقامية قد حددت في ثلاثة أنماط الشخصية والزمانية والمكانية بوصفها علامات ورموز خطابية واضحة ودقيقة لها أثرها الفعال في استقطاب ذهن المخاطب واحاسيسه ومشاعره الوجدانية.

الكلمات المفتاحية: التداولية الإشاريات الإشاريات المقامية .

الباحث :
الايميل :

Journal of the College of Education for Humanities
Volume 14, Issue 4, 2024 ISSN:2707-5672

مجلة كلية التربية للعلوم الانسانية – جامعة ذي قار
المجلد 14, العدد 4 / الرقم المعياري 2707-5672

Contextual Indicators in the Poetry of Abu al-Hasan al-Tihami: A Pragmatic Approach

Taghreed Khaleel Hami A.T

Directorate General of Education in Dhi Qar Governorate

Abstract

Pragmatics is one of the terms and theories of the situation within which linguistic discourse is accomplished, as it is concerned with studying the discourse communication between the speaker and the addressee, i.e. studying the linguistic signs used by the speaker in the process of communicative discourse. Hence, communicative pragmatics is centered on studying the speaker's pronouns and the circumstances of place and time, and the semiotic symbols that derive their concepts and connotations from the discourse situation from which linguistic communication takes place in the poetic text. The existential features of pragmatic functions lie in shaping the structure of linguistic and semantic discourse together, through performing their linguistic effect and their intended expressive function; Because they are indicative signs that are not separate from speech acts that require a speaker to address his linguistic speech to an addressee within a specific temporal, spatial and temporal framework, hence we decided to study the situational signs in the poetic text by choosing an Abbasid poet (Abu al-Hasan al-Tihami(

.Keywords: Pragmatics, Signs, Situational Signs

Author:
Email:

المقدمة

التداولية هي ((إطار معرفي يجمع مجموعة من المقاربات تشترك عندها معالجتها للقضايا اللغوية في الاهتمام بثلاثة معطيات لما لها دور فعال في توجيه التبادل الكلامي وهي : المتكلمين , المخاطِب , المخاطِب , السياق الحال/المقام ، الاستعلامات العادية للكلام أي الاستعمال اليومي والعادي للغة في الواقع))[1]، إذ إنّها تخصص لغوي لساني يدرس كيفية استعمال المتكلم للدلالة اللغوية في جوهر خطاباته ومحادثاته، فضلاً عن ذلك يهتم بكيفية تأويلهم بتلك الأحاديث والخطابات[2]، أي أنّها الدراسة التي تندرج ضمن اللسانيات اللغوية, وتتمركز بصورة دقيقة في استعمال اللغة في التواصل الخطابي[3]، إذ تشكّل ((درساً جديداً وغزيراً لمّا يمتلك بعداً حدودياً واضحاً , انبثق من التفكير الفلسفي في اللغة بيد أنّه سرعان ما تجاوزه ليعمل على صقل أدواته التحليلية))[4]. وبمعنى أدق يكمن مفهومها ودلالتها في ((إيجاد القوانين الكلية للاستعمال اللغوي ، والتعرف على القدرات الإنسانية للتواصل اللغوي ، وتصير التداولية من ثم جديرة بأنّ تسمى علم الاستعمال اللغوي))[5].

ومن ذلك تعدّ التداولية فرعاً لسانياً يعنى بدراسة التواصل بين المتكلم والمخاطب ، أو بعبارة أدق دراسة الرموز والعلامات اللسانية التي يستعملها المتكلم في عملية التواصل الخطابي، والعوامل المؤثرة في التركيز على رموز محددة من دون أخرى، والعلاقة الوثيقة بين الكلام وسياق حاله، وأثر العلاقة وتمثلاتها بين المتكلم والمخاطب في مقام معين ، وهذا الفرع اللساني يعرف ب البراجماتية او التداولية[6]. وعليه فالتداولية التواصلية تهتم اهتماماً كبيراً بمحوري الكلام (المتكلم، والمخاطب)، وذلك لأنَّ ((الخطاب يتوجه (من والى) احد الطرفين ، وكذا بالنظر الى طبيعة التفاعل اللساني وغير اللساني الذي يوجه بأنّه لا يمكن ان ندعي فهمنا للكلام من دون استحضار شروط انتاجه المحيطة به عنصري المتكلم والمخاطب))[7].

ومن هنا فالتداولية التواصلية عند موريس تتمركز في دراسة ضمائر التكلم والخطاب وظرفي الزمان والمكان (هنا، الان) والدلالات التي تستسقي تعابيرها ومفاهيمها من معطيات تتشكل جزئياً خارج اللغة ذاتها، أي من المقام الخطابي الذي يجري منه التواصل[8] في النص. وذلك بعدّها مذهباً لسانياً يدرس علاقات النشاط اللغوي اللساني بمستعمليه ، وكيفيه استعمال الاشاريات والعلامات اللغوية بصورة فائقة، والسياقات المقامية المتباينة التي ينجز ضمنها الخطاب التداولي، والبحث عن المؤثرات والعوامل الكامنة في الخطاب بوصفه رسالة خطابية دقيقة وواضحة، لها التأثير الفعال في الجذب والاستقطاب[9]، أي التأثير في المخاطب واستقطاب أفكاره وعواطفه ومشاعره.

الاشاريات المقامية

تعدّ الاشاريات من المفاهيم التداولية والمصطلحات اللغوية اللسانية التي نعتمد في فهمنا لها لا على دلالاتها المنفردة الخاصة ، بل على اسنادها إلى دلالات تعبيرية إيحائية أخرى في سياق خطابي تواصلي محدد، أي أنّها((من العلامات اللغوية التي لا يتحدد مرجعها إلّا في سياق الخطاب التداولي ؛ لأنّها خالية من أي معنى في ذاتها , فبالرغم من ارتباطها بمرجع , إلّا أنّه مرجع غير ثابت))[10].

إذ تكمن وظيفتاها التداولية في تشكيل بنية الخطاب التواصلي وذلك عبر القيام بأثرها اللساني اللغوي, ووظيفتها الدلالية , ويستثمر المتكلم هذه الخصائص اللغوية والدلالية معاً في الخطاب الذي يجري بينه وبين المخاطب, عندما يمنحه في نسيج تركيبي نسقي يتجاوز في كليته الشمولية الجملة , فتصبح أهمية الإحالة إلى المعلومات القديمة التي تلفّظ بها كامنة في تمظهر واتضاح دلالة الألفاظ ومقاصدها اللسانية التركيبة في سياق مقامي محدد[11] وذلك؛ لأنها رموز وعلامات إشارية محلية غير منفصلة عن أفعال التلفظ وهي أفعال تستلزم متكلماً يتوجّه بخطابه التواصلي إلى مخاطب ضمن إطار مكاني وزماني محدد[12]، ومن هنا فغايتها القصدية التداولية تكمن في بحث العلاقة بين المتكلم والمخاطب في مقام سياقي بدرجة أكبر من تتبع العلاقة الخطابية المُمكنة بين جملة وأخرى، بعيداً عن واقع استعمالها الخطابي[13].

وتكمن الاشاريات في ((ضمائر أنا , وأنت , وهو, وإشاريات هذا, وذاك, والآن, وتعابير تختلف إحالتها بالضرورة , وبحسب ظروف استعمالها , أي على وفق ملفوظها في السياق ، فهي تشير في البداية إلى التمفصل اللساني ، الذي انبثق عنه قبل إحالته على فرد متكلم ، وعلى مكان ، وفترة زمنية))[14], وعليه فإذا عمدنا إلى فهم مدلولات هذه الوحدات اللغوية الواردة في مقطع خطابي محدد، استوجب ذلك معرفة هوية المتكلم والمخاطب و الإطار المكاني والزماني للأفعال اللغوية التوجيهية[15].

وعليه فالاشاريات المقامية لا يمكن أن تنجز وظيفتها التداولية التلفظية من دون تمركز((هذه الادوات الاشارية الثلاثة : وهي (الأنا ، الهنا ، الآن) ويمثل كل منها نوعاً من الاشاريّات ، وهي : الاشاريّات الشخصية ، الزمانية ، المكانية ، ولأنها موجودة في كفاءة المرسل اللغوية ، فإنّ المرسل لا ينطقها في كل حين))[16]، بل يستدعيها في السياق النصي الذي تستعمل فيه .

وتؤدي هذه الإشاريات المقامية وظائف متباينة منها : ((1-الإشارية باعتبارها تردّ اشياء العالم وأحداثه إلى الموقع الذي يحتله المتكلم في المكان، وفي الزمان، وباعتباره موفراً أمارة لمرجع قد تكوّن بعد . 2-الإشاريّة باعتبارها نمط تركيب مرجعيّ لا يفصل بين الجهة وحدث المرجع . 3-الإشارية باعتبارها عامل تناسق نصي (محورة ، تبئير) تمكّن من إدخال أشياء جديدة في الخطاب))[17].

وبعد ذلك يمكن القول: إن تحديد مفهوم الإشاريات ومعناها يتوقف على استدعاء السياق النصي، وتعيين المتكلم وطريقة استعماله للحدود المقامية في إحالة سياقية خطابية، تتمركز في محورين رئيسين هما: البؤرة الإدراكية الذهنية ، والقصد الانجازي ؛ لأن جوهر الإشاريات هو إدراك واستيعاب نسقية النص ودلالاته الإيحائية الترميزية المرتبطة بالملفوظات التركيبية المنفردة بسياق نصي مقصود، الذي يمكن استظهاره واكتشاف رموزه وانساقه اللغوية والدلالية معاً، وذلك عبر إحالات النص وإشاراته اللغوية اللسانية ذات مقصدية إنجازية تداولية، وتتمثل هذه الإشاريات اللغوية في أزمنة الأفعال وأسماء الإشارة ، والظروف المكانية والزمانية.

أولاً : الإشاريات الشخصية :

إن الإشاريات الشخصية بصورة عامة ((تدل على المتكلم أو المخاطب، أو الغائب . فالذات المتلفظة، تدل على المرسل في السياق، فقد تصدر خطابات متعددة عن شخص واحد ، فذاته المتلفظة تتغير بتغير السياق الذي تلفظ به وهذه الذات هي محور التلفظ في الخطاب تداولياً؛ لأنَّ الأنا، قد تحيل على المتلفظ الإنسان، أو المعلم، أو الأب))[18], إذ تكمن وظيفة هذه الضمائر مجتمعة في تعيين قصدية النص أو الخطاب التواصلي من دون أنْ يكون المتكلّم متيقناً بأهمية هذه الوظيفة التداولية التي يؤديها حضوره المنفرد حين ينجز خطابه بأفعال الكلام في سياق نصي محدد[19].

إذ تعبر هذه الضمائر والإشاريات عن ((معان عامة شمولية، هي الحضور ، والغيبة على الاطلاق، فإن حدث تفصيلها فإلى معان أخرى هي الإفراد ، والتثنية ، والجمع، ومن ثم التذكير والتأنيث ، وهذه الدلالات على المعاني المقصودة تجعل الضمائر تلتزم بتنسيق تركيبي محدد يخصص معناها كالمرجع لضمير الشخصية والصلة للموصول والبدل للإشارة[20]. فضلاً عن ذلك تعدّ ((الضمائر المستترة في النحو العربي ضرب من الإشاريات التي تدرك الإحالة عليها من السياق , فلا يتلفظ بها المرسل لدلالة الحال عليها , ويتطلب البعض منها حضور أطراف الخطاب حضوراً عينياً))[21] .

إذ ترتبط الإشاريات الشخصية في شعر أبي الحسن التهامي ارتباطاً واضحاً بتجربته الواقعية الشعورية المتأزمة وذلك ؛ لأن ضمائر المتكلم سواء أكانت ظاهرة أم مستترة ترمز إلى الذات الشاعرة، وما يعتمل في مكنوناتها ومجاهلها النفسية من الهموم والآلام ومقاساة واقعها الاجتماعي المرير, فضلاً عن ذلك أن هذه الضمائر كفيلة في الكشف عن مشاعر المتكلم ووجهات نظره ومعتقداته. إذ يقول الشاعر:

رَزيت بِملء العَين يُحسَب كَوكَبا — تولَّد بَينَ الشَمس وَالقَمَر وَالبَدرِ

بِأَبلَجَ لَو يَخفي لَنَمَّ ضِياؤُهُ — عَلَيهِ كَما نَمَّ النَسيمُ عَلى الزَهرِ

بِنَفسي هِلال كُنتُ أَرجو تَمامَهُ — فَعاجله المِقدار في غُرَّة الشَهرِ

وَشِبل رَجَونا أَن يَكون غَضَنفَراً — فَماتَ وَلَم يَجرح بِنابٍ وَلا ظفرِ

أَتاهُ قَضاءُ اللهِ في دار غُربَةٍ   بِنَفسي غَريبُ الأَصلِ وَالقَدرِ وَالقَبرِ[22]

يتضح أنّ لبنائية الخطاب الشعري التواصلي وآلياته الفونولوجية أثراً كبيراً في تأسيس العلامات والدلالات المتعددة الإيحاء والتأويل، التي يتضمنها السياق النصي بما يتناسب مع تجربة الذات الشعورية المغتربة التي يكابدها ويتحمل آلامها واضطهادها في واقع الفقد والغربة المكانية، أي فقدانه لأبنه الذي اختطفه الموت منه، وهو في ريعان شبابه، بقوله: (بِنَفسي هِلال كُنتُ أَرجو تَمامَهُ فَعاجله المِقدار في غُرَّة الشَهرِ)، إذ يستعمل أبو الحسن التهامي الضمائر الشخصية الوجودية استعمالاً رمزياً موحياً بدلالاته الإيحائية المكثفة في مكونات نصه الشعري ومكامنه الوجودية، ولاسيما الضمير (التاء) في الافعال (رزيتُ ، كنتُ)، والضمير المستتر(أنا) في الفعل (ارجو)، فهذا الضمير يأجج شعور الذات بالفقد والاغتراب النفسي، فالشاعر هنا يبث أوجاعه وصراخه الذاتي أسفاً وحزناً على أبنه الذي فقده وغادر حياته، فضلاً عن ذلك يتجسد حضور ضمير الغائب (هو) حضوراً بارزاً ومهيمناً في السياق النصي في الأفعال (تولَّد، يخفي، مات، يجرح، أتاه)، ليختم توظيف هذه الضمائر الشخصية الوجودية بضمير الجماعة (نحن) في الفعل (رجونا)، ويتضح ذلك جلياً بقوله: (وَشِبل رَجَونا أَن يَكون غَضَنفَراً فَماتَ وَلَم يَجرح بِنابٍ وَلا ظفرِ).

وتأسيساً على ذلك يمكن القول: إن الشاعر التهامي قد عمد إلى التحول والانتقال بين الضمائر الوجودية المتباينة في انساقها ودلالاتها؛ لغاية تكمن في إثراء نصه الشعري بعلامات لغوية وإيحائية تأويلية مكثفة في الوقت ذاته، وذلك ليعبر عن تجربته الشعورية المتأزمة بفقد ولده والحسرة عليه. إذ يصور حالته الموجعة والمتألمة إزاء الفقد وخسارة أبنه وضياعه حين اختطفه الموت منه ؛ لتنتج العلامة الإيحائية المكثفة عبر التحول الدلالي القصدي من الإشاريات الشخصية الوجودية إلى الصور التشبيهية الهادفة بدلالات السياق الخطابي ورموزه الإيحائية المكثفة. لتتداخل الانساق والإشاريات التداولية في بنائية التصوير التشبيهي المنتظم الواقع بين المشبه أبنه والمشبه به الكوكب أو الهلال أو الشبل الذي لَم يَجرح بِنابٍ وَلا ظفرٍ، أي أنّ أبنه عاجلته المنية وهو في غُرّة حياته وشبابه، وقد أتاه قضاءُ اللهِ سبحانه في دارِ الغربة متنائياً عن أهله وأحبته، فتآلف عليه الموت والغربة المكانية. وعليه فهذا التشبيه التصويري البارع يتصف بقدرته المنفردة على تعزيز عمق تجربة الشاعر القاسية، وتذوقه مرارة فقد الأحبة والأهل، ومن ثم استسلامه للقدر وقضاء الله وحكمته.

ويتتابع الشاعر في بث آلامه ولوعته إزاء محنة الموت ومصيبته، إذ يقول في القصيدة نفسها:

أُحَمِّلُهُ ثقل التُرابِ وَإِنَّني   لأَخشى عَلَيهِ الثُقلَ مِن مَوطئ الذَرِ

وَأودعه غَبراء غَيرَ أَمينَةٍ   عَلَيهِ وَلَكِن قادَ شر إِلى شَرِّ

ووَاللهِ لَو أَسطيعَ قاسَمتُهُ الرَدى   فَمُتنا جَميعاً أَو لقاسَمَني عُمري

وَلَكِنَّما أَعمارنا مُلكَ غَيرنا   فَماليَ في نَفسي وَلا فيهِ مِن أَمرِ[23]

لقد وظف الشاعر التهامي الاشاريات الشخصية الوجودية متباينة الانساق اللغوية والدلالات الإيحائية المكثفة، وذلك ؛ لأن هذه الاشاريات المقامية إذا نظر إليها من زاوية السياق الخطابي، ((امكن التمييز فيها بين أدوار الكلام التي تندرج تحتها جميع الضمائر الدالة على المتكلم والمخاطب ، وهي إحالة خارج النص بشكل نمطي ولا تصبح إحالة داخل النص ، أي اتساقية ، إلا في الكلام المستشهد فيه ، وذلك لأن سياق المقام في الخطاب يتضمن سياقاً للإحالة ، وهو تخيل ينبغي أن يبنى انطلاقاً من النص نفسه ، بحيث أن الإحالة داخله يجب أن تكون نصية))[24] ترمز بدلالات متعددة الإيحاء والتأويل، إذ تنبئ عن ألم الشاعر وحزنه وعذابه النفسي إزاء فقده أبنه وخسارته من جهة، وتوحي بتداخل الذات المتألمة والخاضعة لقضاء الله وقدره، وذلك بعدّ الشاعر ذاتاً مخاطبة وحاضرة على مستوى البناء الخطابي التواصلي من جهة أخرى.

إذ تمظهرت هذه الاشاريات التداولية على وفق نسقية ألفاظها وعباراتها المتمثلة في الأفعال الانجازية الخطابية (أُحَمِّلُهُ، أودعه، أسطيع، قاسمته، وأخشى عليه) المسندة إلى الضمير المتكلم (الانا)؛ غايتها الرئيسة محاكاة ألم الشاعر وفاجعته بفقد أبنه وغيابه المفجع، وعليه فإن مصيبة الموت ومحنته تُفجر الانفعالات والمشاعر الوجدانية الأكثر إيلاماً، التي تعصف بوجود الشاعر وكيانه، وتجعله غير قادر على العيش ومواصلة حياته وإدامتها، مما يخلق نوعاً من الانهزام والضياع والاغتراب الذاتي، فيطغى الحزن والأسى، ويحل الإحساس بالعجز والانكسار النفسي الذي ينفرد به ويتسلط عليه بقوله: (ووَاللهِ لَو أَسطيعَ قاسَمتُهُ الرَدى فَمُتنا جَميعاً أَو لقاسَمَني عُمري)، أي أنّه يبث في دلالات نصه ورموزه الإيحائية ازمته النفسية الدالة دلالة واضحة على عجزه، وعدم تمكنه من مقاسمة ابنه الردى فيموت معه، أو أن أبنه يقاسم عمره وحياته، ومن ثم يستدرك الشاعر استدراكاً هادفاً باستسلامه لأجل الله وقدره ، وهنا تنعكس ثنائية الغياب والحضور المجسدة

تجسيداً دقيقاً خلجات الذات الشاعرة الضائعة، وشعورها بالتوجع والعذاب النفسي إزاء فقدانه أبنه وغيابه وبكاءه حزناً ولوعةً.

إن المرتكز الأساس لفهم معاني الخطاب، واستيعاب دلالاته وإشاراته الإيحائية هو أن معنى الجزء في هذا الخطاب؛ يمكن أن يُكتشف عبر السياق المقامي؛ أي عبر الكل. وهذا يؤكد تأكيداً قاطعاً على فهم أية جملة أو عبارة فهماً قواعدياً، أي تشكيلها ضمن سياق الخطاب التداولي ككل، زد على ذلك هذا التفسير والتوضيح يطبق على الفهم النفسي، الذي يعدّ التأسيس الفكري محوراً مهماً في السياق التواصلي الشمولي لحياة فرد ما. وعلى أساس ذلك يمكن القول: إن لغة الخطاب وآلياته اللغوية التداولية ليست مجرد نتاج باطني للفكرة المطروحة، إنما هي تواصل دينامي مؤثر؛ لأن تفصح عن مشاعر المتكلم وأحاسيسه الوجدانية، أي أنّها تفترض سلفاً التأمل الذاتي الانعكاسي. وهذا يتمحور في المقام الأول على ما يجسده الخطاب بأدواته وإشاراته المقامية الخطابية؛ لأنّها تكون دائما عرضةً عبر الخطاب التواصلي التداولي المتصل أساساً بفن الإدراك والإيحاء والتأويل [25].

وعليه يتمظهر صراع الشاعر النفسي، واحساسه بالألم والأسى العميق عبر دلالات الأفعال الإنجازية وعلاماتها الإيحائية المسندة إلى ضمير المتكلم في سياق الخطاب التواصلي، إذ يقول الشاعر:

وإذا نطقت فأنتَ أوّل منطقي — وإذا سكت فأنتَ في إضماري
أخفي من البُرحاء ناراً مثلما — يُخْفِي من النار الزناد الواري
وأُخفضُ الزفرات وهي صواعد — وأكفف العبرات وهي جوار
وشِهابُ نار الحُزنِ إن طاوَعتُهُ — أورى وَإن عاصَيتَهُ مُتَوار
وَأَكُفُّ نيران الأَسى وَلَرُبَّما — غلب التَصَبُّر فارتَمَت بِشَرارِ[26]

يجسد الخطاب الشعري هيمنه الحزن والأسى بكل صوره وأشكاله، وذلك بوساطة اشاريات مقامية شخصية ذات إيحاءات دلالية عنيفة؛ تتجلى بصورة واضحة ودقيقة في الأفعال الانجازية (نطقت، سكت، طاوعته، عاصيته) المسندة إلى ضمير المتكلم (التاء) فضلاً عن ذلك الأفعال المتتابعة(أخفي، وأخفض، وأكفف، وأكف) المسندة إلى ضمير المتكلم (الانا) في سياق تداولي مشحوناً بالصراع النفسي بينه وبين ذاته المتألمة ، في لحظات من القلق الذاتي والانفعال التوتري، بقوله: (وإذا نطقت فأنتَ أوّل منطقي وإذا سكت فأنتَ في إضماري)، إذ يحاول الشاعر أن يواسي ذاته ويناجيها بالأفعال الكلامية المتتابعة والمعبرة تعبيراً ايحائياً مكثفاً، عما يؤلمه ويشعر به، أي أن الشاعر يقيّد حياته ومصيره بأبنه الفقيد، بصورة تعكس ألم الفاجعة وعذاب الفقد؛ فإذا نطق الشاعر فإن اسم ابنه أول ما ينطق به، وإذا سكت فصورته في عقله ونفسه المتألمة للوعة فراقه ووداعه. وعليه فقد أثار الشاعر انفعالات عاطفية متأججة(الحزن ، والخوف، والقلق) إزاء فراق ابنه وغيابه، أي أنّه يخفض زفراته ويكف دموعه المتصاعدة شيئاً فشيئاً قبل أن تفيض من شدة الفقد ولوعته، محاولاً التخفيف من حدة هذه العبرات وشدتها.

ويأتي بعد هذه الأفعال الانجازية المسندة إلى ضمير المتكلم (أنا) الصورة الاستعارية التي وظفها الشاعر توظيفاً بارعاً بقوله: (وشِهابُ نار الحُزنِ، وَأَكُفُّ نيران الأَسى)، إذ يصور حزنه وألمه وعذابه النفسي الذي سببته مصيبة الموت وفاجعته المؤلمة، أي موت أبنه وفقدانه، تصويرياً إيحائياً مكثفاً في صورة النار، فحذف المستعار له الحزن والأسى ورمز إليه بدلالة إيحائية تتمثل بالنار، وعليه فإن الاستعارة التصويرية قد اتسمت بقدرتها الفائقة على تصوير تجربة الشاعر المتأزمة، وشعوره المؤلم عبر دلالات وعلامات إيحائية مؤدية إلى تدعيم قصدية الشاعر وما يعانيه من فقد أبنه وغيابه في سياقه الخطابي وانساقه اللغوية التعبيرية.

وبعد ذلك يمكن القول: إن هذا الخطاب الشعري قد انطلق ((من مبدأ أنه خطاب جمالي تواصلي، إنه جمالي لأنه خطاب منزاح عن العادي، لأنه يتوسل أساليب وطرائق جديدة، غير مطروقة من قبل، وهذا دون أن يتخلى عن الوظيفة التواصلية، التي تضمّن في رسالته المشفرة للقارئ. الخطاب الاستعاري خطاب تصويري (أيقوني)، والتصوير ليس لمجرد التواصل فحسب، بل أيضا هو تصوير يدمج القارئ في عملية الحكي، بطريقة تفاعلية ينخرط فيها في عملية بناء دلالة النص))[27] الشعري وعلاماته التأويلية المقصودة، أي أن الاستعارة بمكامنها الوجودية قد حققت وظيفتها الشعرية والسياقية؛ لبلوغ الدلالات والإيحاءات الحاصلة بالاشاريات الشخصية وسياقاتها النصية، المعبرة عن حالة الشاعر الحزينة والمتأزمة بعد موت أبنه وفقدانه البهجة والاستقرار بعده .

ثانياً : الإشاريات الزمانية :

هي آليات لغوية تدل على زمن يحدده السياق الخطابي على وفق زمان المتكلّم وذلك؛ لأن زمن المتكلّم هو مركز الإشارة الزمانية المقامية في الكلام, فإذا لم يدرك زمن المتكلّم أو مركز الإشارة الزمانية التبس الأمر على السامع أو المتلقي[28]، وعليه فالاشاريات الزمانية تربط الزمن بالفعل والفاعل ربطاً وثيقاً ومؤكداً، ((ومن أجل تحديد مرجع الأدوات الإشارية الزمانية، وتأويل الخطاب تأويلاً صحيحاً، يلزم المرسل إليه أن يدرك لحظة التلفظ، فيتّخذها مرجعاً يحيل عليه، ويؤوّل مكوّنات التلفظ اللغويّة بناء على معرفتها))[29] وإدراكها وفهمها. إذ تستدعي غايات المتكلّم ومقاصده لتحقيق مضمونها الإحالي ، فهي ترمز بصورة تلقائية إلى متكلم معين تلفظ في مكان محدد وفي زمان محدد[30]، أي انّها ترتبط ارتباطاً وثيقاً ومؤكداً بزمن المتكلم.

وما يمثل تمركز الإشارات الزمانية وارتباطها بزمن المتكلم قول الشاعر:

فالدهر يَخدَع بِالمني وَيغُصُّ إن هَنّى وَيَهدِمُ ما بَنى بِبوارِ
لَيسَ الزَمانَ وَإن حرصت مُسالِماً خُلُق الزَمانِ عَداوَة الأَحرارِ
إنّي وُتِرتُ بِصارِمٍ ذي رَونَقٍ أَعدَدتَهُ لِطِلابَةِ الأَوتارِ
أَثني عَلَيهِ بِأَثرِهِ وَلَو أَنَّهُ لَم يَعتَبِط أَثنَيتُ بِالآثارِ
يا كَوكَباً ما كانَ أَقصَرَ عُمرَهُ وَكَذاكَ عُمرُ كَواكِبِ الأَسحارِ
وَهلال أَيّامٍ مَضى لَم يَستَدِر بَدراً وَلَم يمهل لِوَقت سِرارِ[31]

ففي النص الشعري اشاريات زمانية تدل دلالة واضحة على هيمنة الزمان وارتباطه بدلالات النص وغايات المتكلم ومقاصده، وهذا يدل دلالة واضحة على وجود تزامنية تتابعية مع زمن التكلّم، تتمثل تمثلاً دقيقاً في العبارات الآتية: (فالدهر يَخدَع ، لَيسَ الزَمانَ ، خُلُق الزَمانِ عَداوَة الأَحرار، يا كَوكَباً ما كانَ أَقصَرَ عُمرَهُ)، إذ تشكل هذه الاشاريات الزمانية المقامية بؤرة دلالية تحاكي تجربة الشاعر الشعورية ومعاناته وآلامه إزاء فقد أبنه وغيابه المفاجئ بعد أن اختطفه الموت منه، أي أن نكبات الزمان وديناميته المباشرة في توليد تحولات مفاجئة قد تسير الذات باتجاه الاغتراب والضياع والانكسار النفسي ، ومن هنا فقد أضحى الصراع الذاتي مع الزمان من الهواجس التي أرقت الذات وقهرتها في خسارتها وعذابها النفسي.

ومن ثم تتداخل الاستعارات التصويرية تداخلاً دقيقاً بالاشاريات الزمانية، ودلالاتها الإيحائية المكثفة في بث أيديولوجية الفقد ومعاناة الذات الشاعرة واغترابها النفسي، إذ تجتمع هذه الاستعارات المتتابعة تتابعاً منسقاً ومؤثراً في بنائية النص الشعري وأدواته اللغوية والتصويرية ، فقد تجسدت تجسيداً منفرداً، فيما تحدثه من تداعي حضوري منسجم مع مشاعر الذات ونوازعها الوجدانية، ففي قوله: (فالدهر يَخدَع بِالمني وَيغُصُّ إن هَنّى وَيَهدِمُ ما بَنى بِبوارِ)، ذكر المستعار منه(الدهر)، وحذف المستعار له الإنسان الذي يخدعه الدهر، إذ يرسم صورة الدهر خادع الإنسان بما يتمناه ومضلله، وإذا وصل إلى غايته يغصه في لحظات السعادة والهناء، زد على ذلك أنّه يهدم ما بناه وأسسه ببوار، وهي أرض صحراء لا نفع ولا فائدة فيها، وهنا تكمن دلالة الاستعارة وإشارتها الزمانية في خداع الدهر للشاعر، وتمظهر نكباته ومصائبه بفقدان ابنه وخسارته.

وفي قوله:(لَيسَ الزَمانَ وَإن حرصت مُسالِماً خُلُق الزَمانِ عَداوَة الأَحرارِ) استعارة تصور مصيبة الفقد وجور الزمان، فالزمان يوهم الإنسان ويخدعه بنوائبه ونكباته، وإن حرص على اظهار المودة والسلام له، فلا جدوى من ذلك ؛ لأنه خلق لعداوة الأحرار ومعاناتهم، وعليه تتمثل هذه الاستعارة عبر تراكيبها اللغوية ودلالاتها الإيحائية غايتها في ذلك تكمن في إظهار ما يؤلم الشاعر من لوعة الغياب، ووطأة الألم الذي يعانيه إزاء فقده لأبنه وضياعه، إذ يصفه وصفاً انتقائياً بارعاً كاشفاً عن عمق الأسى، وحرقة الفراق التي تكاد أن تسلب إرادته وقدرته على الصبر، وتحمل لوعة الفراق والغياب، بقوله: (إنّي وُتِرتُ بِصارِمٍ ذي رَونَقٍ) ليصفه في صورة السيف الصارم دلالة على شجاعته وفروسيته، الذي أعده ليواجه نكبات الزمان ونوائبه وأقداره.

وايضاً قوله:(يا كَوكَباً ما كانَ أَقصَرَ عُمرَهُ) يرمز إلى أبنه الذي فقده بالكوكب في دلالة إيحائية مكثفة تكمن في قصر العمر، فكواكب الأسحار عمرها قصير ولكنها لا تزول ، وكذلك قوله:(وَهلال أَيّامٍ مَضى لَم يَستَدِر)؛ يصور الشاعر ابنه في صورة هلال لأيام تمضي وتزول دلالة واضحة على قصر عمر أبنه، وهنا تتضح الاستعارة التصويرية بكل أبعادها ومكامنها الوجودية، فقد ذكر المستعار منه الكوكب والهلال، وحذف المستعار له ابنه الغائب ، وعليه تتداخل الإشاريات الزمانية وتتواشج مع الاستعارات التصويرية البارعة التي تصور عمق تجربة الشاعر ومقاساته لنوائب الزمان ومصائبه التي حلت عليه وتسلطت ولاسيما مصيبة فقدان أبنه وضياعه، الأمر الذي منح النص الشعري بكل أدواته اللغوية وإشارياته الزمانية المقامية دلالات إيحائية مكثفة مرتكزة على الصور الاستعارية التشخيصية التي ((لا تقوم بوظيفتها إلا بالتقابل والتوافق مع كلمات أخرى غير استعارية، والتناقض الذاتي في التأويل الحرفي ضروريّ لكي ينبثق التأويلُ الاستعاري يجعل المعنى المجازيَّ في مقابل الحقيقي، على أساس إعطاء كلمة حقيقي، قيمة تتصل بالاستعمال لا بالأصل، فداخل إطار الاستخدام الحالي يقوم التقابل بين الحقيقة والمجاز))[32] .

وعليه تتمثل الاشاريات الزمانية في مواقف الذات الشاعرة المتأزمة وتجربتها الشعورية الانفعالية إزاء نكبات الزمان ونوائبه، التي ألمت بذاته وجعلته يفقد الشعور بالأمان والاستقرار، ويضيق بالحياة ذرعاً بعد فقدان أبنه، وهو في ريعان شبابه. إذ يقول أبو الحسن التهامي مصوراً الموت وفقدان أبنه تصويراً فاجعاً مؤلماً:

عَجِلَ الخُسوف عَلَيهِ قَبلَ أَوانِهِ فَمَحاهُ قَبلَ مَظَنَّةَ الإبدارِ

واستَلَّ مِن أَترابِهِ وَلِداتِهِ كَالمُقلَةِ استَلَت مِنَ الأَشفارِ

فَكَأَنَّ قَلبي قبره وَكَأَنَّهُ في طَيِّهِ سِرٌّ مِنَ الأَسرارِ

إن يُحتقر صِغَراً فَرُبَّ مُفَخَّمٍ يَبدو ضَئيل الشَخصِ لِلنُّظّارِ[33]

لقد تأسس هذا النص الشعري على الاشاريات الزمانية المقامية تبعاً لاستراتيجية لغوية تركيبة ترمز ترميزاً دقيقاً إلى الأبعاد الدلالية الإيحائية المنفردة بقصدية الشاعر ونوازعه النفسية والانفعالية. وما يعزز هذه الأبعاد الدلالية فاعلية امتداد الزمان في مكنونات السياق النصي وعلاماته المقصودة، بقوله: (عَجِلَ الخُسوف عَلَيهِ قَبلَ أَوانِهِ فَمَحاهُ قَبلَ مَظَنَّةَ الإبدارِ) إذ يرسم الشاعر صورة زمانية مؤلمة لمقاساته وانكساره النفسي، مرتكزة على الصورة التشبيهية الواقعة بين المشبه أبنه المفقود والمشبه به البدر، أي أن الخسوف قد اسرع ومحاه قبل أوانه واستله واختطفه من بين أقرانه؛ كمقلة العين المستلبة من بين أجفان الشاعر المفجوع بفقد أبنه، ومن هنا تتمظهر الاشارة الزمانية المتصلة مقامياً ودلالياً بمعاني النص وعواطفه الهووية المتجسدة في صراع الشاعر مع ذاته المنكسرة والمغتربة، أي أن الاشاريات الزمانية الموظفة في السياق النصي بصورة غير مباشرة قد مثّلت ((نمطاً آخر من أنماط الاغتراب حين تناول الزمن بوصفه قوة فاعلة مؤثرة في الإنسان، إذ بات الزمن يمثل محوراً أساسياً في تشكيل ظاهرة الاغتراب الإنساني، وذلك من خلال فقدان : التوافق النفسي والانسجام الذاتي مع اللحظة التي يحياها الفرد، وظهور حالة من التوتر بفعل تلك التبدلات النفسية، وربما تغيُّر المعالم المادية للمكان؛ لأن الزمن يمثل قوة فاعلة تشمل الإنسان والمكان معاً))[34]. ويتولد احساسنا بهيمنة الزمان ونكباته في لحظات الألم والوجع والعذاب النفسي.

وتأسيساً على ذلك يمكن القول: إن تحولات الزمان المصيرية واستثارة حوادثه قد اسهمت بصورة كبيرة في انكسار التهامي وانهزامه النفسي؛ أي امتلأت ذاته قسوة ومعاناة من أسى الزمان وتحولاته وتشظيه، إزاء مصيبة الفقد فقد العزيز التي تسلطت على حياته واشتدت حالته المأساوية، وتفاقمت أحزانه والآمه وعذابات نفسه، وتنال منه نكبات الزمان، وتشاركه أنينه وصرخاته واغترابه الذاتي، بقوله: (فَكَأَنَّ قَلبي قبره وَكَأَنَّهُ في طَيِّهِ سِرٌّ مِنَ الأَسرارِ)، إذ رسم الشاعر الصورة التشبيهية البارعة لتتمركز على هيمنة الاشاريات الزمانية والمكانية معاً من جهة، وتنهض على تجربته الشعورية وإحساسه المتأزم بضياع أبنه وفقدانه من جهة أخرى، وعليه فتشبيه الشاعر قلبه بالقبر، ليحل ابنه فيه ويكون سراً من الأسرار ، يمثل أعمق مشاعر الأسى والتوجع وعذاب الفراق ولوعته. فحياته اصبحت كئيبة لا يستطيع إدامتها. وإن تصور مصيبته وفقدانه لأبنه، انهكت قواه وسلبت قدرته على العيش والتحمل، ومن هنا تتمظهر هذه الصورة التشبيهية عبر دلالات النص ورموزه الإيحائية في علاقاتها التوافقية المتأسسة تبعاً لمركز الإشارة الزمانية المقامية، كما يبثها السياق النصي ومكامنه التصويرية الهادفة الى تمثيل علامات النص الشعري ودلالاته المعنوية العميقة، على وفق قصدية الشاعر وتجربته الشعورية المتأزمة.

ثالثاً: الاشاريات المكانية:

هي أدوات إشارية تشير إلى مكان محدد يعتمد ادراكها وتفسيرها على معرفة مكان التكلم، أو مكان آخر معروف للمخاطب أو السامع على وفق السياق الخطابي الذي تضمنها وقيلت فيه، ويكون لتحديد المكان أثره الكبير في اختيار الأدوات التي تشير إليه قرباً أو بعداً أو جهة تبعاً لمركز الاشارة المقامية[35]، إذ ((لا ينفك المتكلم عن المكان عند تلفظه بالخطاب التداولي , وهذا ما يمنح الإشاريات المكانية مشروعية إسهامها في الخطاب ، فنجد أنها تختص بتحديد المواقع بالانتساب إلى نقاط مرجعية في الحدث الكلامي، وتقاس أهمية التحديد المكاني بشكل عام انطلاقاً من الحقيقة القائلة إنّ هناك طريقتان رئيستان للإشارة إلى الأشياء هما : إما بالتسمية أو الوصف من جهة أولى ، وإما بتحديد أماكنها من جهة أخرى))[36]، ومن هنا فإن تحديد المرجع المكاني يعتمد اعتماداً كبيراً على تداولية الخطاب وسياقه الخطابي؛ الذي يستعمل دواله اللغوية ومدلولاتها الإيحائية لتحقيق غاياته القصدية, وهو ما يثبت أهمية استعماله لمعرفة مواقع الأشياء التي تستلزم أمرين هما إدراك مكان التلفظ، واتجاه المتكلم؛ لأنّه قد يفضي إلى استعمال الاشاريات المكانية في غياب الدقة في تحديد مكان التلفظ إلى الغموض وتجنباً لذلك الغموض والإشكال، فإنّه يعمد المتكلم إلى افتراض موقع المرجع للاشاريات المكانية من جهة، وموقع المخاطب واتجاهه من جهة أخرى[37]. إذ يقول الشاعر:

مُستَوطِناً دار البنود وَقلبه — للرعب يَخفِق مِثلَ خَفوق بنودِها
دار تحطُّ بِها المنون شِباكِها — فَتَروح وَالمهجات جل صيودِها
فَتَعَثَّرَت بِعُرى الأَداهِمِ فالتَقى — جرسان جرس حَليِّها وَحَديدِها
قيد وَسلسلة وَأَدهَم مصمتٌ — محن الكرام عَظيمَةٌ كقصودِها
وَقِلادَةٌ في جيدِهِ إن حُرِّكَت — تَهتَزُّ مِنها الأَرضَ في تَمييدِها[38]

إن استكناه النص الشعري بكل دلالاته واشارياته المكانية المقامية نجد أنّه تشكل على خوف الذات الشاعرة وقلقها واغترابها النفسي، الرامز إلى معاناتها من واقع السجن وشكواها من تقلبات الدهر ونكباته بقوله: (مُستَوطِناً دار البنود وَقلبه للرعب يَخفِق مِثلَ خَفوق بنودِها)، أي أن أحاسيس الخوف والرعب قد انتابت قلب الشاعر وتسلطت عليه، وهو في سجن دار البنود، الأمر الذي جعل قلبه يخفق ويضطرب في سرعة دقاته مثل خفقان وسرعة واضطراب بنودها وأعلامها إزاء حركة الرياح وسرعتها، وعليه تتمثل غربة الشاعر وتجربته القاسية في السجن تبعاً لقانون الفعل ورد الفعل, وذلك؛ لأن المكان يؤثر في الذات تأثيراً نفسياً عميقاً، فضلاً عن ذلك يحفز في مكنوناتها بواعثها السيكولوجية وملامحها الخارجية, أي أن مكان الغربة قد انخلقت دوافعه وتمثلاته المتناقضة؛ عبر صراع الذات وشعورها بالاغتراب والعذاب النفسي إزاء واقع السجن القاسي ومكابدتها العيش فيه، وإدامة حياتها، ويتضح ذلك بوساطة الصورة التشبيهية التجسيدية التي بثها الشاعر في دلالات نصه الشعري واشارياته المكانية، بقوله: (دار تحطُّ بِها المنون شِباكِها فَتَروح وَالمهجات جل صيودِها)، إذ يشبه المنية بالصياد الحاذق الذي يضع شباكه في تلك الدار، ولا يغادرها إلّا أن يصطاد أرواحها، وقيمة هذه الصورة التشبيهية البارعة تكمن في الكشف عن الحالة الشعورية المتأزمة التي يكابدها الشاعر، ويعيش تحت وطأتها وتأثيرها النفسي، وهو يدرك بأنّ الموت النهاية المحققة لتجربته الواقعية المؤلمة في السجن، أو لكل من يسجن في تلك الدار، وعليه تتعالق الصورة التشبيهية الدلالية في بنائية النص الشعري وسياقه المقامي؛ لتعاضد الاشاريات المكانية المقامية في تمثيل علامات النص ورموزه الإيحائية المكثفة، تبعاً لمحنة الشاعر ومعاناته في السجن وما يشعر به من أحاسيس وانفعالات مضطربة ومتأزمة.

إذ تمارس الاشاريات المكانية القيود والسلسلة والقلادة ضغطها الخارجي المؤثر على جسد السجين، فعندما تتحرك هذه القيود والسلاسل الحديدية وهي تتصادم بالقضبان تثير أصوات وأجراس؛ تخلق حالة الخوف والرعب في ذات السجين وأعماقه النفسية؛ ليشكل الألم الجسدي دافعاً وباعثاً على الألم الداخلي النفسي, ومن هنا يتداخل التقابل التأويلي المتجاور في مكنونات الصورة التشبيهية ودلالاتها الإيحائية المكثفة ؛ ليتمثل تمثيلاً دقيقاً في التصوير التقابلي بين الألم الداخلي والألم الخارجي بقوله: (قيد وَسلسلة وَأَدهَم مصمتٌ محن الكرام عَظيمَةٌ كقصودِها)، وهو سياق خطابي تداولي يتمحور في مجاهل الذات الشاعر، ويتظافر الخوف والأسى والغربة المكانية التي يحسها وتتحكم في هواجسه ونوازعه الذاتية، ليتجسد ذلك بصورة دقيقة عبر الاشاريات المكانية المقامية من جهة، وآليات النص اللغوية ورموزه الإيحائية المكثفة من جهة أخرى.

يبدو أنّ الإشاريات المكانية المقامية ((لا تأتي عبثاً ولكنها جزء مهم من المكون الدلالي للخطاب فالدرس التداولي يعني بكل ما يحيط بالخطاب من زمان ومكان وسياق كل شيء من شأنه أن يؤثر في الخطاب))[39]، إذ يقول الشاعر:

أَبكيهِ ثُمَّ أَقولُ مُعتَذِراً لَهُ — وُفِّقتَ حينَ تَرَكتَ آلامَ دارِ

جاوَرتُ أعدائي وَجاوَرَ رَبَّهُ شَتّان بَينَ جِوارِهِ وَجِواري
أَشكو بُعادك لي وَأَنت بَموضِعٍ لولا الرَدى لَسَمِعتَ فيهِ سَراري
والشَرق نَحوَ الغَربِ أَقرَبُ شُقة مِن بُعدِ تِلكَ الخَمسَةِ الأَشبارِ
هَيهات قَد علقتك أَشراك الرَدى واغتال عُمرَكَ قاطع الأَعمارِ(40)

لقد بنى هذا النص الشعري على اشاريات مكانية واضحة الأثر في شبكة من الأفعال الانجازية ذات علامات ايحائية مكثفة(أبكيه، جاورتُ، اشكو)، إذ تنطق هذه الأفعال بتأزم حالة الشاعر المأساوية ووجعه على أبنه الذي اختطفه الموت منه، ومن هنا فقد تمثلت لغة النص وعاطفته الانفعالية النابعة من مكنونات الشاعر وأغواره النفسية، أي أن المشاعر والعواطف الهووية تتمظهر تمظهراً دقيقاً في معطيات اجتماعية خاضعة لمحنة الذات واضطرابها النفسي المتزامن لحالة الشاعر القاسية؛ التي يكابدها في واقعه المؤلم، وإحساسه بالانهيار النفسي، وكأنه يشعر بأنّه ذات يتحكم فيها الحزن والجزع القاهر إزاء الفقد فقد العزيز وضياعه بقوله:(أَبكيهِ ثُمَّ أَقولُ مُعتَذِراً لَهُ وُفِّقتَ حينَ تَرَكتَ آلامَ دار). فالفعل المضارع(أبكيه) تتضح علامته التداولية والنفسية معاً في الدلالة على البكاء والجزع المستمر والمتتابع من دون توقف وانتهاء؛ ليؤكد الشاعر آلامه وحزنه الموجع على أبنه المفقود.

إذ تتصف العلاقة بين تجربة الذات المؤلمة ومعالم المكان الوجودية بالتداخل والتعالق، فلا تتجسد مكامن الذات وآلامها ومقاساتها من دون اشاريات مكانية تحدد نوازعها الداخلية ورغباتها السيكولوجية، المتحكمة في شعورها بالتأزم والضيق، ويتضح بقوله: (جاوَرتُ أعدائي وَجاوَرَ رَبَّهُ شَتّان بَينَ جواره وَجِواري) لتحمل المفارقة المكانية البعد الإيحائي المكثف، وتنفتح فيها الدلالات النفسية الشعورية التي يتضمنها السياق النصي بما ينسجم مع أفكار الشاعر وهواجسه الذاتية، وتتجسد هذه المفارقة في الصورة الإيحائية المكثفة التي رسمها التهامي مصوراً عبرها تمني الموت واللهفة إليه تصويراً تأويلياً رامزاً إلى ألم الشاعر وجزعه على أبنه ورغبته الشديدة في الاجتماع به ولم شمله، وذلك بوساطة توضيح المفارقة المكانية البنائية بين مجاورته لأعدائه، ومجاورة أبنه لربه، فشتان بين جواره وجوار أبنه، وعليه فإن هذه المفارقة الإيحائية المكثفة تزيد من عمق النص ودلالاته السيكولوجية الرامزة إلى مصيبة الشاعر وفاجعته الأليمة وهي اختطاف الموت لأبنه وهو في ريعان شبابه، الأمر الذي انهك قواه وسلب قدرته على الصبر وإدامة حياته.

وفي ضوء تمركز الاشاريات الزمانية والمكانية معاً تأتي الاستعارة التصويرية في السياق النصي لغاية قصدية يروم التهامي إلى تحقيقها عبر تجسيده الموت في صورة (الغول) قاطع الأعمار، والدلالة الإيحائية التي ترمز إليه هي عبارة (اغتال عُمرَكَ)، وحذف المستعار منه (الغول)، ويتضح ذلك بقوله ((هَيهات قَد علقتك أَشراك الرَدى واغتال عُمرَكَ قاطع الأَعمارِ) إذ يجسد الشاعر الموت في صورة اختطاف الأرواح وقطع الأعمار واغتيالها، من دون رحمة أو شفقة معتمداً في ذلك على قدرته التصويرية البارعة في تطويع نصه الشعري ليستوعب الدلالات والصور المتناقضة على وفق آلامه وحسراته على أبنه المفقود . وانطلاقاً من ذلك يمكن القول: إن علامات النص الشعري ومدلولاته التعبيرية الانفعالية تتابع تتابعاً نسقياً منظماً انطلاقاً من الملفوظات اللغوية والاشاريات المقامية المكانية والزمانية إلى صور المفارقة والاستعارة التصويرية ذات التعبير الإيحائي المكثف، لتسهم هذه العلامات والاشاريات والصور المتباينة في انفتاح النص الشعري وتعدد دلالاته وإيحاءاته بصورة تنسجم مع تجربة الشاعر العاطفية المتأزمة ومحاولته إلى الإفصاح والكشف عن مأساته الواقعية ومشاعره وانفعالاته الهووية إزاء فقدان أبنه وغيابه.

خاتمة البحث ونتائجه

بعد الانتهاء من دراسة الاشاريات المقامية في شعر أبي الحسن التهامي توصل البحث الى النتائج الآتية:

1- إن الإشاريات الشخصية في شعر أبو الحسن التهامي ترتبط ارتباطاً واضحاً بتجربته الواقعية الشعورية العاطفية، أي أن ضمائر المتكلم سواء أكانت ظاهرة أم مستترة ترمز بصورة إيحائية مكثفة إلى الذات الشاعرة، وما يعتمل في اعماقها النفسية من معاناة وآلام ومقاساة واقعها الاجتماعي واقع الفقد والاغتراب المكاني، أي فقدانه لأبنه الذي اختطفه الموت منه، وهو في ريعان شبابه، إذ ترمز هذه الاشاريات الشخصية والضمائر الوجودية المتباينة في تحولها وانتقالها بين رموز النص الشعري وعلاماته اللغوية والدلالية الإيحائية إلى أوجاع الذات الشاعر وصراخه النفسي لوعة وحرقة على أبنه الذي فقده وفارق حياته.

2- إن الاشاريات الزمانية في مكنونات النص الشعري ودلالاته المقصودة تدل دلالة دقيقة على هيمنة الزمان وارتباطه بعلامات النص وغايات وأهداف المتكلم ومقاصده، إذ تشكل هذه الاشاريات المقامية الزمانية بؤرة دلالية تحاكي تجربة الشاعر العاطفية المتأزمة ومقاساته وأحزانه إزاء خساره أبنه وضياعه بعد أن اختطفه الموت منه، أي أن تقلبات الزمان ونوائبه لها اثرها الواضح والمباشر في توليد انتقالات مفاجئة قد تسير الذات المعذبة باتجاه الانهزام والانكسار والاغتراب النفسي، الأمر الذي منح النص الشعري بكل آلياته اللغوية وإشارياته الزمانية علامات وإيحاءات تأويلية مكثفة ومرتكزة على الصور الاستعارية التي تتمثل تمثيلاً دقيقاً في مواقف الذات الشاعرة المتألمة وتجربتها العاطفية الانفعالية إزاء نوائب الزمان ومصائبه، التي عصفت بذاته وجعلته يفقد الشعور بالاستقرار والأمان والطمأنينة.

3- إن الإشاريات المكانية تحدد نوازع الذات الداخلية ورغباتها النفسية، المتحكمة في إحساسها بالضيق والتأزم والضيق، إذ تتسم العلاقة بين تجربة الذات القاسية والمعالم المكانية الوجودية بالتداخل والتواشج، فلا يتمثل مكامن وجود الذات ومعاناتها واضطرابها النفسي من دون اشاريات مقامية مكانية تتجسد في الصور الدلالية الإيحائية التي رسمها الشاعر التهامي في نصه الشعري مصوراً عبرها تمني الموت واللهفة إليه تصويراً سيكولوجياً رامزاً إلى توجع الذات الشاعر وأنينه على أبنه ورغبته الشديدة في مجاورته والاجتماع به، لتنتج المفارقة المكانية ببعدها الإيحائي الرامز، وتنفتح فيها الدلالات الشعورية النفسية التي يتضمنها النص الشعري بمكنوناته وعلاماته المقصودة بما ينسجم مع تجربة الشاعر ونوازعه الذاتية المتأزمة.

الهوامش

(1) مبادئ في اللسانيات ، خولة طالب الإبراهيمي ، دار القصبة للنشر ، الجزائر ، ط2 ، 2006م : 176 –177 .

(2) ينظر: مدخل إلى اللسانيات التداولية , الجيلالي دلاش ، تر : محمد يحياتن ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الساحة المركزية ، الجزائر ، 1983م : 24.

(3) ينظر: التداولية من أوستين إلى غوفمان , فيليب بلانشيه , تر : صابر حباشة , ط 1, دار الحوار للنشر والتوزيع , اللاذقية ، سوريا ،2007 م : 19.

(4) التداولية والبلاغة العربية , باديس لهويمل , مجلة المخبر , أبحاث في اللغة والأدب الجزائري , ع7 ،2011م: 159.

(5) التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة (الأفعال الكلامية) في التراث اللساني العربي ، د . مسعود صحراوي ، ط1 ، دار الطليعة ، بيروت ، لبنان ، 2005م : 16 – 17 .

(6) ينظر: معجم المصطلحات اللغوية : رمزي منير البعلبكي ، دار العلم للملايين، 1990م: 390.

(7) الأسس الابستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه ، ادريس مقبول ، عالم الكتب الحديث ، إربد – الاردن ، جدار للكتاب العالمي ، عمان – الاردن ، ط1 ، 2006م : 330.

(8) التداولية اليوم علم جديد في التواصل ، آن روبول ، جاك موشلار ، تر ، سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني ، مراجعة ، لطيف زيتوني ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت – لبنان ، ط1 ،2003م : 29 .

(9) ينظر: التداولية عند علماء العرب ، دراسة تداولية لظاهرة الافعال الكلامية في التراث اللساني: 5 .

(10) استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية ، عبد الهادي ظافر الشهري ، ط1 ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، لبنان ، 2004م : 80 .

([11]) ينظر: استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية: 81.

([12]) ينظر: التداولية أصولها واتجاهاتها، جواد ختام، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2016م :٧٦.

([13]) ينظر: تحليل الخطاب ، ج. ب . براون ، ج. يول، ترجمة وتعليق : محمد لطفي الزليطني، منير التريكي، جامعة الملك سعود، المملكة العربيةالسعودية، ط1، 1997م: 36.

([14]) المقاربة التداولية ، فرانسواز ارمينكو ، ترجمة : د . سعيد علوش ، (د . ط) ، مركز الانماء القومي، (د . ت): 41.

([15]) ينظر: تحليل الخطاب: 35.

([16]) استراتيجيات الخطاب ، مقاربة لغوية تداولية : 81-82.

([17]) معجم تحليل الخطاب، باتريك شاردو، دومينيك منغنو، ترجمة، عبد القادر المهيري، حمّادي صمّود، منشورات دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2008م : 157.

([18]) استراتيجيات الخطاب ، مقاربة لغوية تداولية : 82.

([19]) ينظر: أدبيات النهوض, عاشوراء وخطاب المقاومة الإسلامية، علي زيتون ، ط1 ، معهد المعارف الحكمية (للدراسات الدينية والفلسفية) ، 1428هـ ، 2007م : 57.

([20]) ينظر: الخلاصة النحوية ، تمام حسان ، عالم الكتب ، ط1 ، 2000 م: 92 .

([21])استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية : 83.

([22]) ديوان أبي الحسن علي بن محمد التهامي، (ت 416هـ)، تح، الدكتور محمد بن عبد الرحمن الربيع، مكتبة المعارف، الرياض- المملكة العربية السعودية، ط1، 1982م: 333-334.

([23]) ديوان أبي الحسن علي بن محمد التهامي: 333-334.

(24) لسانيات النص ، مدخل الى انسجام النص ، محمد خطابي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت، ط1 ، 1991 : 18.

([25]) يُنظر: الحقيقة والمنهج، الخطوط الأساسيّة لتأويلية فلسفية، هانز جورج غادامير، تر، حسن ناظم، علي حاكم صالح، راجعه عن الألمانية، جورج كتوره، دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع والتنمية الثقافية، طرابلس- الجماهيرية العظمى، ط1، 2007م: 276- 277.

([26]) ديوان ابي الحسن التّهامي: 311.

([27]) البلاغة وتحليل الخطاب، حسين خالفي، دار الفارابي، بيروت- لبنان، ط1، 2011م: 114-115 .

([28]) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، (د .ط) ، دار المعرفة الجامعية ,2002م : 20.

([29]) استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية : 83.

([30]) ينظر: الإشاريات، مقاربة تداولية، يوسف السيساوي، بحث ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة ، إعداد : حافظ إسماعيل علوي ، ط1 ، عالم الكتب الحديث ، أربد ، الأردن ، 2011م : 443- 444.

([31]) ديوان ابي الحسن التّهامي: 309.

([32]) بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، دار نوبار، القاهرة، ط1، 1996م: 82.

([33]) ديوان ابي الحسن التّهامي: 309- 310.

([34]) الاغتراب في الشعر العراقي في القرن السابع الهجري ، أحمد علي ابراهيم ، دار الشؤون الثقافية العامة ـ بغداد ، ط1 ، 2013م: 75.

([35]) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة ، ط1 ، دار المعرفة الجامعية ، 2002 م : 21 .

([36]) استراتيجيات الخطاب ، مقاربة لغوية تداولية: ٨٤.

([37]) ينظر استراتيجيات الخطاب ، مقاربة لغوية تداولية: ٨٤– 85.

([38]) ديوان أبي الحسن التّهامي: 218.

([39]) التداولية بين النظرية والتطبيق، أحمد حسن كنون، دار النابغة للنشر والتوزيع، الاسكندرية، مصر، ط1، 2015م : ١٣٢.

([40]) ديوان ابي الحسن التّهامي: 309– 310.

المصادر

- زيتون , 2007م علي ***أدبيات النهوض, عاشوراء وخطاب المقاومة الإسلامية*** ، ط1 ،معهد المعارف الحكمية للدراسات الدينية والفلسفية .
- الشهري ، 2004م ،عبد الهادي ظافر ،***استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية*** ،ط1 ، بيروت –لبنان دار الكتاب الجديد المتحدة .
- مقبول ، ادريس ، 2006م ،***الأسس الابستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه*** ،ط1 ، إربد – الاردن ، دار جدار للكتاب العالمي.
- السيساوي، يوسف ، 2011م ***الإشاريات، مقاربة تداولية، بحث ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة*** ، ط1، اربد – الاردن ، دار عالم الكتب الحديث ..
- ابراهيم ، أحمد علي ، 2013م ***الاغتراب في الشعر العراقي في القرن السابع الهجري*** ،ط 1، بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة .
- نحلة ، ،آفاق،2002، ***جديدة في البحث اللغوي المعاصر*** ،د.ط ، دار المعرفة الجامعية .
- فضل ، صلاح ، 1996م ، ***بلاغة الخطاب وعلم النص*** ، دار نوبار، القاهرة، ط1.
- خالفي ، حسين ، 2011م ، ***البلاغة وتحليل الخطاب*** ،ط1 ،بيروت- لبنان دار الفارابي .
- الزليطني، محمد لطفي ، 1997م ***تحليل الخطاب*** ، ط1 ، جامعة الملك سعود، المملكة العربيةالسعودية.
- ختام ، جواد، 2016م، ***التداولية أصولها واتجاهاتها*** ، ط1 ، عمان ، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع .
- الشيباني ، محمد ، 2003 ، ***التداولية اليوم علم جديد في التواصل*** ، ط 1، بيروت –لبنان دار الطليعة للطباعة والنشر .
- كنون ، احمد حسن ، 2015 ، ***التداولية بين النظرية والتطبيق*** ، ط1 ،مصر ، دار النابغة للنشر والتوزيع .
- صحراوي ، مسعود ، 2005م ، ***التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة (الأفعال الكلامية) في التراث اللساني العربي*** ، د . ، ط1 ، لبنان ، دار الطليعة .
- بلانشيه ، فيليب ،2007 م؛ تر: صابر حباشة ، ***لتداولية من أوستين إلى غوفمان***، ط 1، سوريا ، دار الحوار للنشر والتوزيع .
- لهويمل ؛ باديس ، 2011 ، ***التداولية والبلاغة العربية ،مجلة المخبر , أبحاث في اللغة والأدب الجزائري , ع7***
- غادامير، هانز جورج،2007 تر؛ حسن ناظم؛علي حاكم صالح ، ***الحقيقة والمنهج، الخطوط الأساسيّة لتأويلية فلسفية*** ط1 ، طرابلس – الجماهيرية العظمى دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع والتنمية الثقافية.
- حسان، تمام ، 2000 م ، ***الخلاصة النحوية*** ،ط1 ، عالم الكتب .

- الربيع ، محمد بن عبد الرحمن ، 1982م، ***ديوان أبي الحسن علي بن محمد التهامي*** ، ط1 الرياض- المملكة العربية السعودية، مكتبة المعارف.
- خطابي ، محمد ، ***لسانيات النص ، مدخل الى انسجام النص*** ، 1991 ، ط1 ، بيروت ، المركز الثقافي العربي .
- الإبراهيمي ، خولة طالب ، 2006م ، ***مبادئ في اللسانيات*** ط2 ، الجزائر، دار القصبة للنشر .

- دلاش ، الجيلالي ؛ تر : محمد يحياتن ، 1983م. ***مدخل إلى اللسانيات التداولية*** ، الجزائر ديوان المطبوعات الجامعية ، الساحة المركزية .
- البعلبكي ، رمزي منير ، 1990م ***معجم المصطلحات اللغوية*** ، دار العلم للملايين.
- شاردو ، باتريك ؛ منغو ، دومينيك ؛ ترجمة، عبد القادر المهيري ، 2008م ***معجم تحليل الخطاب*** ، تونس،.منشورات دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة.
- ارمينكو، فرانسواز؛ ترجمة : د . سعيد علوش، ***المقاربة التداولية*** ، (د . ط) ، مركز الانماء القومي.